

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۚ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ۚ فَإِذْ جَعَلَ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَرْجَعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

تَبَارَكَ الَّذِي: تعالى وتمجد أو تكاثر خيره.

بِيَدِهِ الْمُلْكُ: له الأمر والنهي والسلطان.

خَلَقَ الْمَوْتَ: أوجده، أو قدره أزلا.

لِيَبْلُوَكُمْ: ليختبركم فيما بين الحياة والموت.

أَحْسَنُ عَمَلًا: أصوبه وأخلصه أو أسرع طاعة.

طِبَاقًا: كل سماء مقببة على الأخرى.

تَفَاوُتٍ: اختلاف وعدم تناسب.

فُطُورٍ: شقوق وصدوع أو خلل.

كَرَّتَيْنِ: رجعتين رجعة بعد رجعة.

خَاسِئًا: صاغراً لعدم وجدان الفطور.

وَهُوَ حَسِيرٌ: كليل من كثرة المراجعة.

إن شخصاً ما حين يدرس عالمنا الراهن يفاجأ بوجود نوع من التناقض ، حيث يرى الكون بأكمله، ما عدا الإنسان؛ يتسم بمتهى الكمال ودقة التنظيم والانسجام؛ ولا يوجد فيه نقص أو خلل في أي ناحية من نواحيه، بينما تبدو الحياة الإنسانية، على نقیض من هذا، مملوءة ظلماً وفساداً وفوضى . والسبب في هذا التناقض بين العالمين - عالم الطبيعة وعالم البشر - يرجع إلى وضعية الإنسان المتميزة ، فالإنسان يمر في هذه الدنيا بحالة امتحان، والامتحان يستلزم توفير حرية العمل والتصرف بالضرورة .. وحرية العمل هذه هي التي أتاحت للناس فرصتهم ليملؤوا البر والبحر بألوان الظلم والفساد .

إن مظالم العالم الإنساني هي ثمن الحرية المتاحة للإنسان امتحاناً ، ولولا هذا الوضع فكيف يمكن إذن انتقاء تلك النفوس الغالية التي تجنبت الظلم رغم توافر إمكاناته ودواعيه، والتي ترفعت عن العناد والطغيان رغم القدرة على ممارسته .

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ١٠ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١١ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ١٢ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ١٣ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ١٤ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ١٥ فَأَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَنَسْحَقُوا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ١٦ ﴾

بِمَصَابِيحَ: بكواكب عظيمة مضيئة.

رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ: بانقضاض الشهب منها عليهم.

شَهِيقًا: صوتا منكرا كصوت الحمير.

تَكَادُ تَمَيَّزُ: تتقطع وتفرق وتنشق.

فَوْجٌ: جماعة من الكفار.

فَسُحْقًا: فبعدا من الرحمة والكرامة.

صور القرآن أحوال جهنم وأهوالها في مواضع منه شتى ، وهذه جهنم ، وإن كانت خارجة عن حدود مشاهدة الإنسان المباشرة اليوم ، إلا أنها متجلية، بصورة غير مباشرة، فيما ينطوي عليه هذا الكون العجيب من حكمة ومعنى وغاية شاملة ، والحقيقة هي أنه لولا وعيد اليوم الآخر الذي يؤاخذ فيه المجرمون ويلاقون جزاء إجرامهم، لصار هذا الكون، بكل ما يسري في أرجائه من حكمة وغاية، غير قابل للتفسير !

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢ ﴾ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ
أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ١٣ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٤ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ ١٥ ﴾

كون عذاب الآخرة غير قابل للمشاهدة والتجربة في عالمنا الراهن مطابق تماماً للتدبير الإلهي ، حيث يريد الله سبحانه أن ينتقى من بين البشر أفراداً يسلمون بعظمته وهم لم يروه، ويمثلون أوامره ويحتنبون نواهيه وهم لم يروه، وليس للتعرف على أمثال هؤلاء من سبيل إلا إذا أخفي عن أعين الناس مصيرهم الأخروي المحتوم، حتى يعمل المرء ما يعمل بمحض اختياره، لا خضوعاً لأوامر قسرية مفروضة عليه من الخارج فرضاً !

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ١٦ وَإِلَيْهِ
النُّشُورُ ١٧ ۝ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٨ ۝ أَمِنْتُمْ

مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿٦٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٦٨﴾

الْأَرْضَ ذُلُولًا: مذلة لينة سهلة تستقرون عليها.

مَنَّاكِهَا: جوانبها، أو طرقها وفجاجها.

وَالْيَهُ النُّشُورُ: إليه تبعثون من القبور.

مَنْ فِي السَّمَاءِ: أمره وقضاؤه وسلطانه.

يُخَسِّفُ بِكُمْ: يغور بكم.

هِيَ تَمُورُ: ترتج وتضطرب فتعلو عليكم.

حَاصِبًا: ريحا من السماء فيها حصباء.

كَيْفَ نَذِيرِ: كيف إنذاري وقدرتي على العقاب.

كَانَ نَكِيرِ: إنكاري عليهم بالإهلاك.

كل شيء في هذا الكوكب الأرضي يتسم بالتوازن إلى أقصى حد، وهذا التوازن هو الذي جعل الأرض صالحة لسكنى الإنسان، ولو حدث أدنى خلل في هذا التوازن لأصبحت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق، ودوام التوجه إلى الله بالشكر والامتنان على هذا العالم المتوازن الذي هيأه لنا، والتعوذ به تعالى من المتاعب التي يمكن أن نتعرض لها في حالة اختلال هذا التوازن الكوني فجأة، هو ما يطلبه الله من البشر !!

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ

الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٥﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرِزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٦﴾

صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ: باسطات أجنحتهن في الجو عند الطيران ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن.

أَمَّنْ هَذَا: بل من هذا؟

جُنْدٌ لَّكُمْ: أعوان لكم ومنعة.

غُرُورٍ: خديعة من الشيطان.

لَجُوا فِي عُتُوٍّ: تمادوا في استكبار وعناد.

وَنُفُورٍ: شراد وتباعد عن الحق.

إن طيران الطيور في الجو، وخروج الرزق من باطن الأرض ونحوهما من الظواهر والوقائع مما يحير العقل، ويدعو إلى الدهشة والإكبار الشديدين، ولو تأمل الإنسان في هذه الوقائع بجديّة لغمره فيض من الشعور الإلهي، ولكن الإنسان غافل لدرجة أنه يعاند ويتمرد على الله في عالم يلقنه فيه كل ما حوله من الأشياء درساً واحداً ليس غير، ألا وهو درس الطاعة الإلهية!

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٨﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾

مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ: ساقطاً عليه لا يأمن العثور.

يَمْشِي سَوِيًّا: يمشي مستويا منتصباً سالماً من العثور (مثل للمشرك والموحد).

ذَرَأَكُمْ: خلقكم وبثكم وفرقكم.

خلق الإنسان مزوداً بقوى السمع والبصر والتعقل ، والناس ، بالنسبة إلى استخدام هذه المواهب، صنفان: فمنهم مَنْ يندفع وراء ما يسمع بلا روية، ويصدق بما وقع عليه بصره كما يبدو ظاهراً دون التحقق من حقيقة أمره ، ويتمسك بالفكرة تنبت في رأسه من غير تمحيصٍ أو مراجعةٍ ، وهذا الإنسان شأنه شأن الحيوان يأخذ في السير على أي طريق ووجه إليه وبصره ملتصق بمواطئ أقدامه، لا يلتفت إلى اليمين ولا إلى اليسار، وهو لا يدري إلى أين المسير ولماذا؟!

أما الإنسان الآخر فهو الذي يتحقق مما سمع، ويحاول الاطلاع على ما رآه بمزيد من الدقة والصواب، وهو الذي يكتشف الصدق متحرراً من أنانيته وتحطيم قوقعته الذاتية. هذا الإنسان الأخير هو الذي يسير منتصباً معتدلاً على طريق واضح المعالم مستقيم لا عوج فيه، وإنما زُود الإنسان بملكات السمع والبصر والفؤاد، كي يتعرف على الحق، لا أن يظل جاهلاً به غافلاً عنه كالأعمى الأصم !!

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ١٥ قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ١٦ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ١٧ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ١٨ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ١٩ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٢٠ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ٢١ ﴾

رَأَوْهُ زُلْفَةً: رأوا العذاب قريباً منهم.

سَيِّئَتْ: كُتِبَتْ واسودت غماً وذلاً.

بِهِ تَدْعُونَ: تطلبون أن يعجل لكم استهزاء.

أَرَأَيْتُمْ: أخبروني أو أروني.

يُحِيرُ الْكَافِرِينَ: ينجيهم أو يمنعهم أو يؤمنهم.

غَوْرًا: غائراً ذاهباً في الأرض لا ينال.

بِمَاءٍ مَّعِينٍ: جار أو ظاهر سهل التناول.

إذا أبى المخاطب الإذعان للدليل، ولم تعد وسائل الإقناع المنطقي تجدي معه شيئاً، فإن الداعي يلجأ إلى تنبيه ضميره معبراً عن يقينه بقوة، والآيات محل تدبرنا هي بمثابة كلمات اليقين من هذا النوع، ولئن كان المرء لا يزال يحتفظ بشعوره حياً لدرجة ما، فإن هذه الكلمات الأخيرة ستفلق باله وتقض عليه مضجعه بكل تأكيد، وأما الذي تبدل إحساسه وحمد شعوره كلياً، فإنه لا يستيقظ بأي تدبير أو وسيلة، وهو لا يسلم بقيمة "الماء" ولا يقدره حق قدره إلا إذا حُرِمَ منه وقذف به وحيداً في أحضان الصحراء!